التراث الشعبي ودوره في التنمية

Folklore and its role in development

د/ عبد القادر لصهب

المركز الجامعي مغنية (الجزائر) lashababdelkader@gmail.com

تاريخ الإرسال:.25./...05/...2021 تاريخ القبول: .30./.05./..2021 تاريخ النشر: .30./.06./...2021...

ملخص:
يعد التراث الشعبي من المرتكزات الأنثروبولوجية الكامنة في وعي الجماعة بوجودها عبر التأسيس لهويتها الناجزة تاريخيا / حضاريا ، وهو إلى جانب هذا عامل مهم من العوامل التي يمكن استثمارها في عملية التنمية ، وذلك باعتباره رأسمال رمزي يحيل إلى تلك المرتكزات التي من شأنها دفع عجلة التنمية وفق ما هو منتج ثقافي ، وقد أثبتت عديد التجارب قدرة التراث الشعبي على المساهمة في العملية التنموية إذا ما التفت إليه كمادة خام لها سياقاتها الاقتصادية إضافة إلى معطاها الثقافي والاجتماعي والأنثروبولوجي .

ومن خلال هذه الورقة البحثية سنحاول تسليط ضوء البحث على القيم التنموية الكامنة في التراث الشعبي معرجين على أهم العراقيل التي تقف في وجه استثمار هذا المعطى الثقافي في البرامج التنوية

الكلمات المفتاحية : التراث الشعبي ، التنمية، الأيديولوجيا، رأس المال الثقافي.

Abstract : Folklore is one of the anthropological foundations inherent in the community's awareness of its existence through the establishment of its historically / civilized identity. It is a cultural product, and many experiments have proved the ability of folklore to contribute to the development process if it turned to it as a raw material with its economic contexts in addition to its cultural, social and anthropological

Through this research paper we will try to shed light on the research on the developmental values inherent in the folklore, referring to the most important obstacles that stand in the way of the investment of this cultural aspect in the programs Alnniat..

Keywords: Folklore - Development - Ideology - Cultural Capital

توطئة (مقدّمة):

قد يحيل طرح إشكالية حضور " التراث الشعبي " في الطروحات النقدية لقضايا التنمية إلى التعرج على قضية تلامس جوهر الموضوع المطروح للنقاش ، من خلال البحث في حضور المدونة التراثية الشعبية في المنظومة الفكرية / النقدية العربية عموما ، والجزائرية على وجه الخصوص ؛ منظومة تأسست وفق قطبين أيديولوجيين ظلا يسطان قيمهما الصراعية طيلة عقود من الجدالات التي ضيعت في زحمة رؤاها موقع هذا التراث في المسارات الحضارية ، هذا بالرغم مما قدمته النماذج الثقافية الشعبية / الفلكلورية من قيم حافظت على مرتكزات الهوية الجزائرية – الناجزة تاريخيا – عبر حقب شابها سعي حقيقي لخلخلة مقومات الانتماء التاريخي والحضاري والعقائدي وحتى اللساني / اللغوي .

فقد عرضت للأمة الجزائرية عهود وقعت فيها تحت نير الفلسفة الاستعمارية الغربية التي زاوجت بين الإخضاع العسكري والتشويه الثقافي أو المسخ الحضاري ، حيث عملت الدوائر الكولونيالية ، ومن خلفها تقف منظومة تنظيرية تشكل ترسانة للعمل ، على بسط قيم ثقافية واجتماعية بديلة تساعد على إفراغ الشعوب من محتوياتها الثقافية والحضارية تسهيلا لعملية إخضاعها واستغلالها على جميع الأصعدة ، وهنا كان للتراث الشعبي صولاته التي عملت على حفظ مقومات الهوية الوطنية وترسيخها في الوجدان / الوعي الجمعي الجزائري باعتباره يبسط قيما تشكل رباطات مع الماضي والذاكرة .

ورغم الأهمية التي يكتسيها التراث الشعبي في الوقوف على النماذج الثقافية والنظم الاجتماعية وغيرها، والتي تؤطر وجود الجماعة وتحدد معالم توجهاتها العامة بما يمكنها بسطه من قيم مرجعية لتأسيس أي مشروع نهضوي إلا أن النخب الجزائرية القابعة تحت هيمنة الأيديولوجيا ، سواء كانت أيديولوجيا تقدمية أم رجعية ، ظلت تنظر إلى هذا التراث نظرة سكونية متهمة إياه بـ " الفلكلورية السحرية " المؤسسة على هيمنة التصورات الساذجة والعقليات الخرافية ، وأنه لا يمكنه البتة تكوين أطر ثقافية تشكل توجها للنهضة أو مرجعا من المراجع التنموية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية .

1- التراث الشعبي في مهب الأيديولوجيا :

يعد هذا الطرح بمثابة قراءة نقدية ، ولو بآليات كليشيهاتية ، في المنظومة الفكرية الجزائرية التي تعاطت مع قضية " التراث الشعبي " بنوع من التهميش الذي وصل حد الإقصاء ، فالخطاب " التنويري " الجزائري وقف على طرفي نقيض تتجاذبه مرجعيات مؤدلجة تعْبُر من فوق المعطيات الثقافية الشعبية المتأصلة في توجهات الجماهير ووعيها بوجودها .

فطرف تبنى دعاوى " التغريب " بما تحمله من رفض ضمني لكل ما يمتّ بصلة للوجود الماضي للجماعة ، وهو توجه يبغي تعديل مسار الذاكرة ليمنعها من العودة إلى " عتمة التخلف " الضاربة بوجودها في " الوعي التاريخي " أو " الذات القديمة " منتهجا سبل " قتل الآباء " والمروق من عباءاتهم التي تشكّل قيودا نفسية تحول دون الانطلاق الحضاري المبني على الحداثة والعصرنة .

أما الطرف الثاني فيرى في الحضارة الراهنة وقيمها التي تنبني عليها مجرد بريق زائف ، أو سرابات يحسبها الظمآن ماء لتوغله أكثر في مجاهل التيه ، وبالتالي تنقطع به أسباب العودة وأن النجاء المأمول يكمن فقط في تمثل / تلمّس القيم الموروثة من عهود تألق الحضارة العربية الملتحفة بلباسات المدنية الإسلامية ، وكذا استحضار نموذج " السلف " وتعيينه وعلى المشهد الراهن ؛ وهي دعاوى أقرب للذات المتأصلة في الوعي الوجودي للجماعة ، باعتبار أن الدين يمثل المرجعية الأسمى للتوجهات الممارساتية والاعتقادية للجماهير الشعبية .

غير أن هذا الطرح يلغي هو الآخر من معادلته التطويرية وجود نظم ضابطة لوجود الجماعة في صور موازية للطروحات الرسمية التي يقدمها النموذج الحضاري المتوخى العودة إليه وبه .

وبين هذا الطرح وذاك بقيت " الثقافة الشعبية " أو " التراث الشعبي " بما يحمله من تصورات وتفسيرات وتوجهات في الرؤى عنصرا مغيبا لا يظهر إلا في شاكلة معارضة تماما لما تقدّمه النماذج الثقافية الرسمية ، ويضحي بذلك سبّة تمجّها كل الخطابات التحديثية ، سواء ما ارتبط منها

بماضي الأمة واعتنق " فلسفة العودة إلى الأصول " كمرجعية للتمدن أو ما رفض هذه العودة منتهجا سبل الهروب إلى الأمام ومعانقة " مرجعيات التغريب " .

ولعل النقطة التي ينبثق عنها كل طرح هي الواقع التاريخي الذي أفرز احتكاك الشرق – عموما – بالغرب المتمدّن والآخذ بناصية الحضارة والتحديث عن طريق الاحتلال وما تبعه من حيثيات الشعور بالضآلة أمام النموذج الوافد حاملا قيما حضارية لم يكن الشرق يدرك بعد سبل امتلاكها والسيطرة عليها .

إن الشعور بالهزيمة هو الذي أحدث هذا الشرخ في المنظومة الثقافية والفكرية العربية عموما – والذي لم يكن مقتصرا على النموذج الجزائري وحسب – ؛ شعور دفع البعض إلى تلمس أساليب النهضة والتنمية الشاملة في النموذج الغربي المنتصر ، وبالتالي نظر إليه كمثال حقيق تتبعه واقتفاء نهجه ، ومن ثم نظر إلى التراث الشعبي باعتباره تمثلا لا واعيا للقوى السحرية والمعتقدات الخرافية .

كما ساهمت المنظومة الاستشراقية الكولونيالية في تشويه التوجهات التراثية الشعبية ، حيث " سخرت إدارة الدول الاستعمارية لهذه المهمة طاقات بشرية معتبرة ، فطافوا في المدن والقرى والمداشر ، وحضروا في الحفلات والمواسم الطقوسية وشاركوا العرب في أفراحهم وفي أقراحهم ... غير أن علاقتهم مع مظاهر الثقافة الشعبية لم تقف عند حدود التسجيل والفهم والاستثمار الاتصالي التواصلي ، فسرعان ما شرعوا في تنفيذ سياستهم التغريبية التشويهية والتحنيطية ، حيث أنحرفوا بما سجلوه من مظاهر الثقافة الشعبية العربية انحرافا خاطئا وخطيرا ، فأفرغوها من قيمها الأصيلة وعوضوها بقيم غريبة من وحي خطتهم ونيتهم في تشويه المسيرة الثقافية والحضارية للشعب العربي وقطع علاقته بجذوره الحضارية والتاريخية ، فأبدعوا قيما ونسبوها إلى العقلية العربية التي وصفوها بالتحجر والتخلف والفوضى وعدم قدرتها على الإبداع وعلى مسايرة متطلبات العصر " (سعيدي ، محمد،2007:109).

ومن ثمّ ألصقت صفة التحجر بكل ما هو إنتاج " شعبي " وفقا لطرح أيديولوجي استعماري توخى بسط قيم ثقافية و " مدنية " غريبة عن التجربة الوجودية للشعوب المستعمرة .

وبتأثير من سحر المدونة الاستشراقية رأى كثير من المفكرين أن الثقافة الشعبية – أو الفلكلور – لا يتعدى كونه مجموعة من المعتقدات السحرية والغرائبية التي لم يعد لها مكان في المعادلة الوجودية الراهنة ، والتي تنماز بصراع حاد للأفكار والأيديولوجيات ، حيث أن " الدور الجارف للتحديث كان له وقعه على الوطن العربي ، وهذا ما يعبر عنه **هشام شرابي** في كتابه **" مقدمات لدراسة المجتمع العربي "** من أن تاريخنا ابتداء مما نسميه عصر النهضة خضع إلى تحد حقيقي شكّله الغرب ، فمن الناحية المادية أي الصعيد الاقتصادي والعسكري والسياسي كان من صنع الغرب ، لأنه في نظره فرض النظم والمؤسسات السياسية والاقتصادية على مجتمعاتنا ... فنحن في نظره ، على الصعيد النفسي والحضاري ، تحت سيطرته ، وبالتالي أصبحنا ننظر إلى أنفسنا ومجتمعاتنا وتاريخنا من خلال نظرة الغربي إلينا " (شكار ، ميلود ، 1993: 15).

فالنظرة التغريبية الاستشراقية تمكنت من فرض قيمها الرؤيوية على كثير من النخب التي ظلت ترى في الثقافة الشعبية / التراث الشعبي مجرد حجر عثرة في وجه الحركة الفكرية وتقدّمها ، باعتبارها " شكلا خاليا من المضامين ، كل ما في الأمر عادات وتقاليد وطرق نظر لا تمت بصلة إلى الواقع ، فالتراث عند الناس يمثّل الماضي الذي لا ينبض ، حيث يبقون تحت رحمة بعض الأشخاص الذين كانت لهم بعض الأقوال ليمجدوهم ، والثورة ضد أطلال الماضي ، أو جثث الموتى ، لا يستطيع أحد القيام بها بالرغم من علمهم بأن الماضي ينقص هذا الشيء " (محمد ، زكي نجيب ، د.ت : 51-52).

إن هذه النظرة الدونية للثقافة الشعبية واعتبارها مدونة أسطورية وخرافية ونعت مجموع النماذج السلوكية والاعتقادية الشعبية بـ " السذاجة " و " الإيغال في البعد عن العلمية " جعلت من حقول الثقافة الشعبية حقولا جرداء لا تغني في البحث ولا تسمن في تقديم بدائل حقيقية للأزمات التي تعيشها الجماعة ؛ أزمات خلفتها إحباطات نفسية تراكمت منذ عهد الاحتلال ، وتكررت أمام كيان ثبت نفسه عنوة وسط جسد الشعب

، ثم الشعور بالنقص والدونية المتزايد أمام إنجازات الحضارة الغربية المتفوقة على جميع المستويات والأصعدة ، ثقافيا وعسكريا واقتصاديا وسياسيا …

وبذلك لم تحفل المدونة الفكرية الجزائرية كثيرا بالثقافة الشعبية ، فقد كانت هذه الثقافة دوما محل رفض على مستوى الجدل النخبوي المتعلق بقضايا التنمية أو النهضة والتحديث ، وبالتالي لم يكن واردا إمكانية الاعتماد على حقول الثقافة الشعبية كمعين للبحث التنموي .

فالمثقف الجزائري المشدود إلى الفتوحات الحضارية الغربية لم يكن لينتبه إلى الخصائص الديناميكية للثقافة الشعبية ، والتي من شأنها أن تقدّم طروحات استراتيجية في عملية التحديث ، وبالتالي وضع هذا المثقف " جدارا معرفيا وثقافيا وأيديولوجيا بين ثقافته ، أي ثقافة النخبة أو ثقافة المؤسسات ، وثقافة الشعب ، أو الثقافة الشعبية ، والتي لم يقف عند حدود وصفها بالتخلف والضعف ، بل وصل به الحد إلى إقصائها من دائرة الثقافة الوطنية ووضعها في الطرف المناقض للثقافة النخبوية وللثقافة الوطنية " (سعيدي ، مُحَّد ، 2007 : 109) .

وفي الطرف الآخر ، وعلى النقيض تماما ، وقف تيار رأى في الثقافة العربية التراثية ، التي تعود إلى قرون الفتوحات المعرفية والحضارية للمدونة الفكرية الإسلامية ، نماذج حضارية تستوجب العودة إليها باعتبارها تمثّل من الناحية الزمنية / التاريخية قمة للنضج الحضاري الذي أشاع مرتكزاته لجميع الإنسانية ، فأخذت منها سبل تقدّمها وآليات حداثتها التي قامت عليها إنجازاتها الحضارية الراهنة .

تلك النماذج التي مثلت ، في حينها ، تمثلات للثقافة النخبوية / الرسمية التي كان معولا عليها في عملية التمدن العربي ، وبالتالي غيبت هي الأخرى القيم الثقافية الشعبية ، وظلت دعوات العودة للتراث متعلقة بالثقافة التراثية في أوجهها الرسمية / المدرسية المعبّرة عن توجهات النخبة .

فالمدافعون عن الثقافة العربية التراثية حصروها في المعطيات أو الإفرازات التي نتجت عن الطروحات الثقافية / المعرفية على مستوى قمة الهرم الفكري العربي .

كما أن الأيديولوجيا الثورية المؤسسة وفق التوجه الاشتراكي والذي مثل خيارا سلطويا بعد الاستقلال ساهم بقدر وافر في إقصاء وتهميش الثقافة الشعبية ، إذ و " على الرغم من الجهود المبذولة من طرف الدولة في البنيات الثقافية ، وعلى الرغم من السياسة الثقافية التي حددها الخطاب الرسمي فإن الأمر قد آل في الأخير إلى فراغ ثقافي رهيب ، تمثل في عدم القدرة على الإحاطة بالظاهرة الثقافية في كل أبعادها حيث تجاوزت السلطة مسائل هامة هي من صميم الانشغالات الثقافية " (بن زنين ، بلقاسم ، 2001 : 106) .

كما رفضت الثقافة الشعبية من لدن الأيديولوجيا الثورية باعتبارها " شكلت ولمدة من الزمن الموضوع الخصب بامتياز للفكر الكولونيالي والذي سخرها تسخيرا استعماريا " (سعيدي ، مُحَّد، 2007 : 104) ، وبذلك اعتبرت إرثا معرفيا استعماريا يجب التملّص / التخلّص منه ، ووضعت الثقافة الشعبية ، كحقل معرفي ، إلى جانب منظومات معرفية أخرى ، كالأنثروبولوجيا وعلم الفلكلور وعلم الاجتماع ، في قفص الاتهام ، باعتبارها مدونة بحثية ارتبطت بحركات المدّ الاستعماري الذي استخدم هذه العلوم بغية الوقوف على خصائص الشعوب الثقافية والاجتماعية تمهيدا للسيطرة عليه وكذا لضربه في عمق رباطاته الوجودية والحضارية والانتمائية .

وهي نظرة أطرتها كذلك الأيديولوجية القومية التي كانت ترى في الثقافة الشعبية مدّا مناهضا لتوجهاتها الفكرية ، التي تقوم على بعث المضامين الحضارية الجامعة للانتماء العربي الممثل في اللغة العربية الفصحى وأن الآداب الشعبية والمظاهر الفلكلورية تعبّر عن خصوصيات محلية لا ترقى إلى مستوى الطروحات القومية .

كما أن محاولة فرض التوجه الاشتراكي على الواقع الثقافي والاجتماعي الجزائري لم تسمح بملأ الفراغ الذي تركه تهميش الثقافة الشعبية من السياسة الثقافية الرسمية ، حيث أن " محاولة المواءمة بين الفكر الاشتراكي وثقافة المجتمع لم تجد طريقها إلى ذهنية عامة الشعب ، بل وإن قيمه ومبادئه ومعتقداته لم تتمكن من اعتماد عناصر المواءمة هذه التي فرضت عليه من فوق ، كونها كانت تفتقر (هذه الأيديولوجيا) إلى العمق في

التحليل ، ولم تتمكن من قراءة الواقع الثقافي ، ولا استيعاب مجموع التحولات الحاصلة في محيطه ، فالإنسان الجزائري الذي تحدثت عنه الخطب والمواثيق غير موجود ، اللهم إلا ضمن مشروع السلطة " (**سعيدي ، محمد ، 2007:04**).

وبذلك أدى الحراك الأيديولوجي على مستوى النخب السياسية والثقافية بالجزائر إلى استبعاد الدراسات الفلكلورية المهتمة بالأنماط الثقافية والاجتماعية الشعبية الجزائرية من دائرة الجدل المعرفي الذي بدأت تضج به الساحة الأكاديمية ، فقد انشغلت الأطاريح النقدية والفكرية بطرح العناصر والتركيبات المؤسسة / المشكّلة للأيديولوجيا المتحكمة فيها ، محاولة – ولو قسرا – تطبيق هذه الأسس على النموذج الجزائري ، وانغلق مستوى الأداء الفكري على حدود التبشير بالأيديولوجيا أو التعريض بالأيديولوجيا المضادة .

وهكذا ضاعت على الفكر الجزائري فرص الغوص في النماذج البسيطة التي تحتفي بها العقلية الجماهيرية / الشعبية ، والتي من شأنها أن تحمل في ذاتها خصائص تحديثية إن استثمرت استثمارا أمثل ، ذلك أنها تنبعث من صميم التجربة الوجودية الشعبية التي يمكن للقواعد العريضة من الشعب استيعابها والتعامل معها ؛ تعامل قد يحيل إلى أصالة في الإبداع ، والذي يعدّ اللبنة الأساس في صناعة الحضارة .

2- <u>التراث الشعبي ومداخل التنمية بالجزائر</u> :

تبعا للأيديولوجيات المتحكمة في مضارب قبوع الفكر الجزائري فإن " الثقافة الشعبية " بما تحتويه من تمثلات حضارية وتشكيلات ثقافية وممارساتية لا يمكنها البتة تقديم أي بدائل للأزمات الحضارية التي تعانيها الجماهير الجزائرية ، ذلك أن العقائد السحرية والأسطورية غير مؤهلة – في ذاتها وتركيبتها المعرفية– لأن تخوض في المسائل التطورية أو التحديثية أو تقدّم نماذج منها ، ولو في أشكالها البسيطة والأولية .

وهي رؤية نراها قاصرة عن إدراك المرتكزات الحضارية التي تقوم عليها المعتقدات والممارسات الشعبية؛ مرتكزات تقوم على عمق الوجود الشعبي ووعيه بذاته كمحرك لآلية الحضارة والتمدّن.

فالثقافة الشعبية تزخر بقيم متسامية تجعل منها حقيقة / جديرة بالبحث فيها عن سبل النهوض الثقافي والاجتماعي والاقتصادي بالفئات الشعبية ، ذلك أنها تتضمن كل " ما يصدر عن المواطن العربي العادي من فن شعبي يتوسل بالكلمة والإشارة والإيقاع وتشكيل المادة ، وهو فن يحمل من عناصر الثقافة والأصالة ما يجعله أمينا على القيم الإنسانية والمثل الأخلاقية والخصائص القومية " (بن زنين ، بلقاسم ، 2001 ، 106).

ولقد تفطنت الدوائر الفكرية الغربية لما لعناصر الثقافة الشعبية من قيمة حضارية ، فأولت العناية بالمواد الفلكلورية ، واتجه جمهور لا بأس به من البحاثة إلى التراث الشعبي ، وعملوا على " تدوين مادته وتصنيفها وإخراجها في كتب ومجلات ، ونشرها بين الناس ، وصيانتها من الضياع والاندثار والزوال وتفعيل ما تحتويه من قيم مختلفة واستثمارها استثمارا حيا ومفيدا لحياة الناس في شتى الميادين ، كما سخّرت لذلك أموالا كبيرة وخططت لذلك برامج متعددة من أجل التكفل بمواد الفلكلور تكفلا علميا واجتماعيا وثقافيا واقتصاديا وسياسيا " (يونس ، عبد الحميد ، 1973 : 21).

وقد جعلت عديد الدول عناصر التراث الشعبي بمثابة الفاعل الاقتصادي المساعد على تحسين الدخل الفردي والقومي ، وذلك من خلال عمليات استثمار موسعة لعناصر التراث وتقديمها كسلع ثقافية تخدم التوجهات السياحية في البرامج والمخططات التنموية .

ذلك أن الثقافة الشعبية / التراث الشعبي مَعين يؤسس إنسانية الإنسان ، باعتباره " جسدا وفكرا مليئا بالمشاعر والأحاسيس والأفكار والمعتقدات والمواقف والاجتهادات والتطلعات والرغبات . وهذا كله يشكّل عوامل حاسمة في عملية تسيير التنمية وتوجيهها في هذا الاتجاه أو ذاك ، أو في هذا المجال الاجتماعي أو ذاك ... " (سعيدي ، محمد ، 2007 : 105).

فالتراث الشعبي يشكل قضية رئيسية من قضايا مداخل التنمية (الثقافية والاجتماعية والاقتصادية)، إذ " على أساسه تتحدد الهوية ، والاختيارات الأساسية ، كما يتحدد دور المواطن وتنظيماته الاجتماعية"[(10)] ، فالبرامج التنموية التي لا تراعي في طروحاتها الخصائص

الاجتماعية والثقافية للجماهير الشعبية تصطدم بحالة من الرفض الشعبي (الظاهر أو المضمر) وهو ما من شأنه زعزعة الاستقرار الاجتماعي ، ذلك أن هذه المجتمعات تعرض لقدر من الاضطراب في القيم والأنساق والعلاقات التي تصحب عمليات مستحدثة مرتبطة بالثروات الجديدة ومخالطة عملية التحديث الظاهري ، ويبدو الاضطراب هنا واضحا وبالتحديد نتيجة عدم التوازن بين الكون / الكيان الاجتماعي الموروث والاختيارات التنموية الجديدة وطبيعة تطور الأنساق القائمة .

ولا أدل على هذا من السياسة التنموية النتهجة بعد الاستقلال ، والتي توخت نقل الإنسان الجزائري من " البادية " أو " الريف " إلى مراكز عمرانية أكثر مدنية ،كالقرى الاشتراكية ، التي أخرجت الإنسان الجزائري الممتهن للزراعة والرعي من عمق ممارساته إلى أجواء أخرى ساهمت في تغيير نمطه الثقافي والاجتماعي ، وذلك ما أدى إلى نشوء تنظيمات / نظم اجتماعية جديدة كان لها تأثيرها على المرتكزات التي نشأ عليها الجزائري ثقافيا واجتماعيا ، إذ أصبح من مظاهر التغير الاجتماعي الذي مسّ الأسرة – على وجه الخصوص – " غياب التنظيم الجماعي من جهة وضياع الوحدة الاقتصادية العائلية. وهي التغيرات التي تبدو متأثرة بمسيرة التنمية والنهج السياسي والاقتصادي الذي أحدث حركية واضحة في الأرياف والمدن وفي تشكل الطبقات والفئات الاجتماعية الجديدة ، وذلك ما ينعكس مباشرة على حياة الأسرة الجزائرية " (بن زنين ، بلقاسم ، 2001 ، 149).

فقد أدى التحول الاجتماعي للإنسان الجزائري الذي كان من بين أسبابه الرئيسية تلك التوجهات التنموية التي لم تراع الخصائص الاجتماعية والثقافية المتجذرة في الوعي الشعبي إلى حدوث " عدة مشاكل ناشئة لتصادم الأفكار ، القيم ، والأخلاق التقليدية ، التي تميز إنسان الريف عن إنسان المدينة، بل وحتى بين أبناء الريف الذين سكنوا المدينة مع آبائهم ، وهذا ما أحدث خللا وتفككا في الروابط الأسرية من خلال المشاكل الناتجة عن الطلاق والانحراف والاختلاط " (بن زنين ، بلقاسم ، 2001 ، 153).

كما أن التراث الشعبي يعتبر رأسمال ثقافي يمكن استثماره من الناحية الاقتصادية والاجتماعية ، فمن الناحية الاقتصادية يمكن للبرامج التنموية أن تعمل على تطوير الحرف والصناعات التقليدية ، وذلك من خلال سياسة تشجيعية لهذه الحرف عن طريق " إقامة المعارض المحلية والوطنية سنويا ، وفتح السوق والتسويق الوطني والأجنبي والاعتراف بها كذات فاعلة ومتفاعلة مع متطلبات المجتمع والحركة التنموية الشاملة ، كما ينص على ذلك الميثاق الوطني في فصل التنمية الصناعية الشاملة في باب ترقية الصناعة الصغيرة والمتوسطة" (سعيدي ، محمّد ، 2007 : 161) .

كما يمكن للصنائع الشعبية ، من ممارسات اجتماعية وثقافية ، أن تشكّل موردا مهما للدخل الفردي والقومي ، وذلك من خلال تشجيع السياحة الثقافية ، والتي تزخر الجزائر بمؤهلات جد عالية للاستفادة منها ، باعتبار أن الموروث الثقافي الشعبي الجزائري حافل بالقيم الجمالية والفنية التي من شأنها أن تشكّل مرتكزات لجلب السياحة الداخلية والخارجية.

وبذلك يمكن للموروث الشعبي أن يلعب دورا مهما في عملية التنمية الشاملة (الثقافية والاجتماعية والاقتصادية) لما له من مقومات تفاعلية ديناميكية في ذاته وفي علاقته بما يحيط به من أطر الحداثة التكنولوجية والاجتماعية والثقافية .

3- خاتمة :

إن التنمية باعتبارها مفهوما إجرائيا شموليا تحمل من الخصوصيات الموضوعاتية ما يمكّنها من ملامسة جميع الخصائص المركبة للوجود البشري وما يؤطره من ملابسات ثقافية وسلوكية / ممارساتية ، وإن إقصاء أي مدونة تنظيمية لهذا الوجود من حدود الرؤية التنموية يجعلها عملية مبتورة ، لا يمكن لها النهوض بالفرد أو الجماعة إلى مستوى تطلعاتها النظرية ، فالقصور في التصورات النظرية يؤدي إلى اختلال أثناء التطبيق ، وبالتالي فإن مآل العملية التنموية يكون " الفشل " وتقديم البدائل المؤقتة التي سرعان ما تتحول إلى بؤر لمعاينة أعمق الفراغات الاستراتيجية في المخططات التنموية ، باعتبارها المسبب في "صناعة الفشل " . فبرامج التنمية التي لا تراعي التركيبات الثقافية والنظم المعاملاتية والأحكام الضابطة لوجود الجماعة لا يمكنها أن تقدّم شيئا ، وتكون مرفوضة في الوعي الجمعي ، وبالتالي لا يمكن تطبيق أي برامج أو مخططات على حقول اجتماعية وثقافية غير خصبة وغير قابلة شعوريا للإجراءات التطبيقية للنماذج التنموية المتوخى الحصول عليها.

4- الإحالات والمراجع :

ومنه يصبح لزاما على مخططات التنمية الموجهة للطبقات الشعبية العمل على استثمار ما تزخر به هذه الطبقات من مؤهلات ثقافية ومهارات إبداعية ، بغية تلمّس جوهرها الوجودي وإضفاء نوع من قابلية تعاطي " التجربة الشعبية " مع البرامج التنموية .

- بن زنين بلقاسم: الجزائر في الفكر الأنثروبولوجي ، كتاب جزائر الأنثروبولوجيين نموذجا ، رسالة ماجستير في الأنثروبولوجيا (مخطوط) ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية ، قسم الثقافة الشعبية ، 2000-2001.
- الديك ، اسكندر والأسعد مصطفى: دور الاتصال والإعلام في التنمية الشاملة ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر (مجد) ، بيروت ، لبنان ، 1993.
- سعيدي محمد : الأنثروبولوجيا بين النظرية والتطبيق ، دراسة في مظاهر الثقافة الشعبية بالجزائر ، رسالة دكتوراه في الأنثروبولوجيا (مخطوط) ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية ، قسم الثقافة الشعبية ، 2006-2007.
- شعراوي حلمي : دور الثقافة السياسية في التنمية ، في : الثقافة ودورها في التنمية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ، 1996.
- شكار ميلود : إشكالية تحديث الفكر العربي بين زكي نجيب محمود ومحمد البهي ، دراسة نقدية مقارنة ، رسالة ماجستير في الفلسفة (مخطوط) ، جامعة الجزائر ، معهد الفلسفة ، 1992-1993.
- محمود زكي نجيب : تجديد الفكر العربي ، دار الشروق ، بيروت ، لبنان ، ط5 ، د.ت .
- يونس عبد الحميد : دفاع عن الفلكلور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1973 .